مُقَدِّمَة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[١] والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد أرسل الله رسوله ﴿ﷺ﴾ إلى الثقلين من خلقه بشيراً ونذيراً، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٢] وقال تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[٣].

وقد أخرجهم الله به من الضلالة إلى الهدى، وأكمل الله به الدين ورضي الإسلام لنا ديناً ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[٤].

---

١ سورة الكهف:٢.
٢ سورة الأعراف:١٥٨.
٣ سورة الأحقاف:٢٩.
٤ سورة المائدة:٣.

obeikandl.com

فدين الإسلام ببعثة محمد ﴿ﷺ﴾ هو الدين المرتضى الكامل، فكماله يعني شموله لكافة جوانب الحياة، ولذا فإن من أعظم نعم الله علينا أن منّ علينا بالإسلام.

ولقد كان لحياة الرسول ﴿ﷺ﴾ أثرٌ كبير في تغيير أحوال كثير من الناس بدخولهم الإسلام وتغيير كثير من الخصال والطبائع والعادات التي كانت هي النظم السائدة في الجاهلية، وكم كان في هذه النظم والعادات والأعراف الجاهلية من ظلم وإجحاف سارت عليها القبائل وتلك الأمم قروناً كثيرة.

وقد شرعت في الكتابة في هذا الموضوع: (نحو حياة زوجية سعيدة)[1] لأنني سأقف على الحياة الكريمة الطيبة التي عاشها المصطفى عليه الصلاة والسلام مع أهل بيته، ذلك المنهج التربوي الصحيح الذي سار عليه ﴿ﷺ﴾ في حياته بأسمى طرق التعامل والعيش الصحيح مع النساء اللاتي كن مطية الظلم في المجتمع الجاهلي، والضعفاء الذين كانوا يعاملون بأبشع ما كان يعامل عليه الصغار وخاصةً البنات، فقد كانت البنت توأد وتدفن في قبرها وهي حية، تصرخ وتستغيث ولا مغيث،كل ذلك خوفاً وخشية من عارٍ كانوا يتخيلونه في عقولهم ويظنونه في تصوراتهم ويدونونه في قوانينهم البشرية الجائرة ، كنظام قصاص على جريمة لم تقع في الواقع ولم تمارس على الأرض إنما كانت تمليها الظنون الشيطانية قال الله تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ﴾[2] والمسلم مأمور بتنظيم حياته الدينية والدنيوية تبعاً لمنهج الشرع واقتداءً بنبي

---

[1] أصل هذا الكتاب جزء من بحث رسالة ماجستير بعنوان:(منهج النبي ﴿ﷺ﴾ في تعامله مع أهل بيته)

[2] سورة النجم: ٢٣.

الإسلام كما قال الله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[١].

وحينما تتأمل هذه الآية تدُلُكَ على معنىً عظيم بين الله فيه لأهل الإسلام طرق النجاة والفلاح والسعادة في الدارين، فربنا الكريم لم يبعث نبيه محمداً ﴿ﷺ﴾إلا ليقتديَ الناس به وليحتذوا بحذوه وليسيروا بسيره، فهو الأسوة والقدوة الحسنة كما وصفه ربه عز وجل في هذه الآية الكريمة، فهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﴿ﷺ﴾، في أقواله، وأفعاله، وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﴿ﷺ﴾[٢].

فحقاً إن الأمة بحاجة إلى من تجعله قدوةً وأسوةً حسنة تقتدي به بعدما جعل كثير من الناس قدوتَهم وأسوتَهم هم أهل الزيغ والضلال ، وبذلك ضلوا ومالوا عن جادة الطريق.

وقد استدل الأصوليون في هذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول ﴿ﷺ﴾، وأن الأصل أن أمتَه أسوتُه في الأحكام إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به فالأسوة نوعان أسوة حسنة وأسوة سيئة فالأسوة الحسنة في الرسول ﴿ﷺ﴾، فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم، وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة، كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسي بهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٣].

---

[١] سورة الأحزاب: ٢١.

[٢] تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير(ج٣: ص ٤٧٥).

[٣] سورة الزُّخرُف: ٢٣.

وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويُوفَّقْ لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان وخوف الله ورجاء ثوابه، وخوف عقابه يحثه على التأسي بالرسول(ﷺ)[1].

وحياة النبي (ﷺ) حافلةً ومليئةً بمواقفَ تبين حقاً أنه أسوة حسنة حتى قبل بعثته حيث كان الناس يَصِفونه بالصادق الآمين، ولم يُعهد عليه ما يُخل به من آداب وأعراف.

ولنتأمل هذا الموقف من قبائل قريش في جوابها للنبي (ﷺ).

عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2] خَرَجَ رسول اللَّهِ (ﷺ) حتى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ يا صَبَاحَاهْ فَقَالُوا: من هذا؟ فَاجْتَمَعُوا إليه فقال: أَرَأَيْتُمْ إن أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ من سَفْحِ هذا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قالوا: (ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ..)[3] فإذاً هو قدوة لأهل الجاهلية في الجاهلية قبل البعثة لذا وصفوه بأنهم لم يجربوا عليه كذباً، ولا عجب فقد هيئه الله لأمرٍ عظيم ألا وهي الرسالة التي هي خاتمُ الرسالات، فلزاماً أن يكون قدوةً حقيقة يقتدي به من عاش معه في زمنه، ويتبعه على ذلك من جاء من بعده.

وكم كان لجمال أسلوبه، وحسن تعامله (ﷺ) أثر في دخول الكثير منهم في الإسلام.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ/عبد الرحمن السعدي (ج١ص٦٦١).

[2] سورة الشعراء:٢١٤.

[3] صحيح البخاري (ج ٤ :١٩٠٢) كتاب التفسير، باب تفسير سورة (تبت يدا أبي لهب وتب).

عن أنس ﴿ﷺ﴾ (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النبي ﴿ﷺ﴾ فَأَعْطَاهُ غَنَماً بين جَبَلَيْنِ فَأَتَى قَوْمَهُ فقال: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّداً ليعطي عَطَاءَ من لاَ يَخَافُ الْفَاقَةَ، وَإِنْ كان الرَّجُلُ ليجيء إلى رسول اللَّهِ ﴿ﷺ﴾ ما يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا فما يمسي حتى يَكُونَ دينه أَحَبَّ إليه أو أَعَزَّ عليه مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فيها)[1].

فقول الرجل (**أي قوم أسلموا ...**) دليل على حسن تعامل النبي ﴿ﷺ﴾ مع الكفار وترغيبهم في الإسلام فأسلوبه هو الأسلوب الأمثل في دعوة الناس وأنه قدوة حقيقية في طرق الدعوة .

ولما بعثه الله ودخل الناس في هذا الدين كان خيرَ معلمٍ لهم وخير مربي قد تأثر به الرجال والنساء، حتى الصغار أحبوه وجالسوه وتأثروا به كلٌ ينهل من عظيم خصاله وسجاياه كما وصفه ربه جل جلاله فقال:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]

ولقد تجلت هذه السجايا والخصالْ في مواقفَ كثيرة منها:

١/**عن أبي هُرَيْرَةَ ﴿ﷺ﴾ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﴿ﷺ﴾ (دخل الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَسَلَّمَ على النبي ﴿ﷺ﴾ فَرَدَّ وقال ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لم تُصَلِّ فَرَجَعَ يُصَلِّي كما صلى ثُمَّ جاء فَسَلَّمَ على النبي ﴿ﷺ﴾، فقال ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لم تُصَلِّ ثَلاثًا، فقال وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي، فقال:**

---

[1] مسند لإمام أحمد، (ج٣:ص٢٨٤)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[2] سورة التوبة: ١٢٨.

إذا قُمْتَ إلى الصَّلَاة فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ من الْقُرْآن، ثُمَّ ارْكَعْ حتى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتى تعتدل قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حتى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذلك في صَلَاتِكَ كُلِّهَا)[١].

هذا الرجل سمى العلماءُ حديثَه: (حديث المسيءِ صلاتَه)، فلم يعنفه، و لم يوبخه، بل علمه كيف يصلي الصلاة الصحيحة بعدما أمره بإعادة الصلاة و لم يحسنها.

٢/ **عن أَبي هُرَيْرَةَ ﴿رضي الله عنه﴾ قال: قام أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ في الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ الناس فقال لهم النبي ﴿ﷺ﴾:(دَعُوهُ وَهَرِيقُوا[٢] على بَوْلِهِ سَجْلًا[٣] من مَاءٍ أو ذَنُوبًا[٤] من مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)**[٥] فهذا موقف يتبين فيه بجلاء كيف كان تعامل النبي ﴿ﷺ﴾ الحسن مع الجاهل في تعليمه وفي تربيته لمن حوله لأجل أن يتأثروا به، ويهتدوا بهديه ، فقد ترك هذا الرجل ليقضي حاجته، ثم دعاه وعلمه، فقال له: **(إِنَّ هذا الْمَسْجِدَ لَا يُبَالُ فيه وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلِلصَّلَاةِ)**[٦] وقد تأثر الأعرابي بحسن تعامل النبي ﴿ﷺ﴾، فأطلق تلك الدعوةَ مُدَوِّية في المسجد ليسمعه الجميع: **(اللهم اغْفِرْ لي وَلِمُحَمَّدٍ ولا تَغْفِرْ لِأَحَدٍ مَعَنَا. فَضَحِكَ رسول اللَّهِ ﴿ﷺ﴾ وقال:**

---

[١] صحيح البخاري، ج١ :ص٢٦٣،كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت.

[٢] هريقوا أصله: أهراقه يهريقه بمعنى: صبه (تاج العروس: ص٣٧٨ مادة روق).

[٣] سجلاً: هو الدلو الضخمة المملوة ماء، وقيل: إذا كان فيها ماءٌ قل أو كثر، (لسان العرب ج١١ ص ٣٢٥ مادة: سجل).

[٤] ذنوباً: هي الدلو العظيمة، وقيل: لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء (لسان العرب، ج١ ص ٣٩٢ مادة: ذنب).

[٥] صحيح البخاري، ج١/ص٨٩،كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد.

[٦] سنن ابن ماجه،ج١/ص١٧٦ كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

لقد احْتَظَرْتَ[١] وَاسِعًا [٢].

فهذه الدعوة ما خرجت من هذا الأعرابي إلا لما رأى روعة المعاملة من النبي ﴿ﷺ﴾ التي وصفها لما سُئل عن هذه الدعوة قال:- بعد أن فَقِه-**(فَقَامَ إلي بِأَبِي وَأُمِّي فلم يُؤَنِّبْ ولم يَسُبَّ)**[٣].

٣/وعن عُمَرَ بن أبي سَلَمَةَ ﴿رضي الله عنه﴾قال: (كنت غُلَامًا في حَجْرِ رسول اللَّه ﴿ﷺ﴾، وَكَانَتْ يَدي تَطِيشُ [٤]في الصَّحْفَةِ ، فقال لي رسول اللَّه ﴿ﷺ﴾: يا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ، فما زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي [٥] بَعْدُ) [٦].

فانظر لهذا الموقف من النبي ﴿ﷺ﴾، مع هذا الغلام الصغير، في حسن تعليمه، وتأديبه، وقد تأثر بها هذا الغلام، حتى كبُر فقال: **(فما زالت تلك طعمتي بعد)**. فحقاً كان خيرَ معلم، وخيرَ قدوة، يَقتفي أثره الكبير، والصغير، ويهتدي بهديه المتعلم قبل الجاهل.

وكم نحن بحاجة في مثل هذا الواقع إلى قدوة حقيقة يرجع لها الناس، ويأخذون عنها، ويقتدون بها، ألا وهي شخصية نبينا محمد ﴿ﷺ﴾، بعدما ضل البعض من الناس فجعل قدوته في حياته الكفار والفساق الذين ضل الناس بضلالهم وما ذاك إلا لبُعدنا عن حياة النبي ﴿ﷺ﴾ تلك الحياة الطاهرة الطيبة.

---

[١] احتظرت: بمعنى امتنعت مأخوذ من الحِظار وهو الذي يمنع ما وراءه (فتح الباري ج١٠ ص ٤٣٩)

[٢] سنن ابن ماجه (ج١: ص١٧٦).

[٣] المرجع السابق.

[٤] تطيش: أي تخف وتتناول من كل جانب (لسان العرب، ج٦ ص ٣١٢) مادة: طيش.

[٥] طعمتي: بكسر الطاء أي صفة أكلي ،بمعنى لزمت ذلك وصار عادة لي (فتح الباري، ج ٩ص٥٢٣).

[٦] صحيح البخاري، ج٥/ص٢٠٥٦،كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين.

وإنني قصدت هذا الموضوع لأجل أن نرتبط جميعاً بسيرته وهديه، ونقتفي أثره الصحيح، ليعيش الناس على المنهج السليم، الذي رسمه لهم نبيهم محمد ﴿ﷺ﴾ تجلى ذلك في حياته كلها.

ولأجل صلاح الأُسر والبيوت الإسلامية، والتي ابتعدت قليلاً عن نهج نبيها ﴿ﷺ﴾، فتعثرت بعض الشيء أرسم هديه ﴿ﷺ﴾ الذي سار عليه في تعامله مع أهل بيته من النساء، ومن الصغار الذين تربوا في بيت النبوة، فساروا بسيره، وصاروا قدوة حسنة، ولبنة صالحة في بناء المجتمع المسلم.

وبُعداً كلَّ البُعد عن الإعجاب بالأساليب الغربية في التعامل، والتي صرفت المسلمين عن المنهج النبوي الحق وصرفتهم عن اقتفاء أثر نبيهم وهديه وسنته وربطتهم بغيره.

أهمية الموضوع:

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع والبحث فيه أسبابٌ عدة منها:

أ) علمية:

١/ الرغبة في البحث والتنقيب في دقائق حياته ﴿ﷺ﴾ ببيان طرق تعامله ﴿ﷺ﴾ مع أهل بيته لتصحيح ما نراه من تعامل خاطئ في واقعنا الإسلامي بين الأزواج.

٢/أن يتبين للجهات العلمية المختلفة ذات العلاقة التربوية أهمية الجانب التربوي في المنهج النبوي الكريم لتنزل تلك النصوص في واقع العمل التربوي فهو خير ما يؤخذ في ذلك.

٣/ بيان لحقيقة حياة نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ خاصة عقب تلك الهجمة الشرسة من أعداء هذا الدين، إذ بتوضيح شيءٍ من حياته تقوم الحجة على الزائغين وتنشرح صدور المؤمنين ويسطع نور الحقيقة في العالمين ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[1].

ب)نظرية:

١/ حسب اطلاعي أن جميع الدراسات التي بحثت في تعامله ﴿ﷺ﴾ قصدت جميع من يتعامل معهم عليه الصلاة والسلام، ومن تحدث عن بيت النبوة بيَّن شيئاً من الجوانب في التعامل فأحببت التركيز في بيان تعامله مع أزواجه لتظهر تلك الصورة الصحيحة في التعامل الصحيح مع أهل البيت.

٢/تقريب النصوص وتوضيحها للمربين وأقسام التربية ليضعوا قواعد التربية والسلوك السوي في الحياة العلمية التربوية.

عملي وطريقتي في الكتاب:

أما عن عملي في الكتاب فقد اتخذت الطرق التالية:

١/ أوردت في كل فصل من الفصول بعضاً من الأحاديث المناسبة فيه، مع بيان بعض التوضيحات وعلقت على بعض الأحاديث مستفيداً من الشروح والسير التي كتبها المتقدمون والمتأخرون.

---

[1] سورة التوبة:١٢٥.

٢/ ذكرت الأحاديث مرتبةً حسب صحتها من مصادرها، فما كان في الصحيحين أو أحدهما أكتفي به ولا أذكرها من غيرهما إلا لزيادة فائدة لم ترد فيهما.

٣/ما كان في غير الصحيحين أذكرها مع بيان مقبولها ومردودها مستدلاً بأقوال أهل العلم من السابقين والمتأخرين.

وأخيراً..في هذا الكتاب بينت منهجه الشريف في تعامله مع أزواجه من أهل بيته ولقد اقتصرت على تلك الأحاديث التي تذكر مواقف النبي ﴿ﷺ﴾ مع أزواجه من أهل بيته دون غيرها من الأحاديث تمشياً مع منهج هذا الكتاب الذي قصدت فيه ذلك مما جعلني أكرر بعض الأحاديث في بعض المباحث.

وإنني أسال الله الكريم من وراء هذا الكتاب أن يتقبل منا أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يعيدنا وأمَتنا الإسلاميةَ إلى الطريق الأمثل، والطريق المستقيم.

وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ودفاعاً عن سيد المرسلين ﴿ﷺ﴾ وبياناً لذلك المنهج القويم، فما كان فيه من صواب فمنه وحده لا شريك له وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان واستغفر الله العظيم.

محمد بن عبد العزيز بن محمد الشمالي

إيميل:shemale@gawab.com

ص. ب (٢٦٠٤٢١)

الرمز البريدي:١١٣٤٢-الرياض

فاكس: (٠١٢٤١٢٨٦٥)

openkandil.com